عقوبة الإعدام بين الرفض والقبول

عُرفت عقوبة الإعدام ضد المجرمين والمعارضين السياسيين في كل المجتمعات عبر التاريخ، وما زالت معظم البلدان تحكم بالإعدام في جرائم القتل العمد والتجسس ضد الدولة والخيانة. ولم تستهدف عقوبة الإعدام في العصر القديم إنهاء الحياة فقط كما هو الحال الآن، بل كان من مقاصدها الإذلال والتعذيب والتمثيل، وكانت تنفذ على الملأ لردع المشاهدين.

□بغداد/المدى

أما أقدم توثيق لعقوبة الإعدام جزاءً على ارتكاب الجرائم المختلفة فيوجد في القوانين الصينية القديمة. كما وردت عقوبة الإعدام في كل من: شريعة حمورابي خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد، حيث فرضت في خمس وعشرين جريمة، وفي مصر القديمة في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وفي قوانين الحيثيين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وفي أثينا خلال القرن السابع قبل الميلاد؛ حيث كان الإعدام عقوبة أي جريمة ترتكب! واختلفت عقوبة الإعدام في روما القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد باختلاف الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها مرتكب الجريمة؛ وكان يُحكم بالإعدام على مختلف الجرائم مثل القذف أو التشهير، ورفع الصوت بالأغاني المهينة، وسرقة المحاصيل الزراعية أو ترك الماشية ترعى فيها، وحرق المنازل أو المحاصيل المخزنة قربها، والغش التجاري، والحنث باليمين، وإصدار الضوضاء أثناء الليل، وقتل فرد من الأحرار أو أحد الوالدين عمداً، والسرقة إذا ارتكبها فرد من العبيد.

وكانت الوسائل المستخدمة في الإعدام قاسية، شملت الصلب، والقتل غرقاً، والدفن في التراب، والضرب حتى الموت، والقتل بالخازوق، والافتراس بالحيوانات الضارية. أما قاتل أحد والديه فكان يُلقى به في الماء ليموت غرقاً بعد أن يوضع في كيس من القماش به كلب وديك وثعبان وقرد! واستخدم اليهود طرقاً عديدة لتنفيذ عقوبة الإعدام منها الرجم بالحجارة حتى الموت، والشنق، وقطع العنق، والرمي من قمة عالية، والصلب الذي اقتبسه اليهود من الرومان، إلاّ أن الإمبراطور (كونستانتين) ألغى الصلب في روما القديمة خلال القرن الرابع الميلادي.

واستمر تطبيق عقوبة الإعدام في معظم الجرائم التي تعتبر الآن بسيطة؛ ففي القرن الثامن عشر كان يُحكم بالإعدام جزاءً على ٢٢٢ جريمة في بريطانيا؛ منها قطع الأشجار وسرقة الماشية، وسرقة ما يساوي أربعين شلناً من منزل، وسرقة ما يساوي خمس شلنات من متجر، وقد أعدم طفل وشقيقته شنقاً في ٢٨ سبتمبر ١٧٠٨م عقوبة على السرقة وكان عمرهما ٧ و١١ سنة على التوالي. ومن الجرائم التي كانت عقوبتها الاعدام في بعض الولايات الأمريكية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، القرصنة وتزييف النقود وفعل قوم لوط والاغتصاب والاعتداء الجنسي على الحيوان وإخفاء عبد بنية تحريره وتعدد الزوجات. وفي عام ١٨٢٣م صدر قانون في بريطانيا أعفى حوالي ١٠٠ جريمة من عقوبة الإعدام. وفي عام ١٨٤٠م فشلت محاولة لإلغاء عقوبة الإعدام، ولم تلغِ العقوبة نهائياً في بريطانيا إلاّ عام ١٩٧٠م.

وبالإضافة إلى جرائم القتل العمد، يُعاقب حالياً بالإعدام في كثير من بلاد العالم على جرائم المتاجرة بالمخدرات وجرائم الاعتداء الجنسي والخيانة الزوجية وزنا المحارم وفعل قوم لوط. وفي الصين يعاقب على جرائم المتاجرة بالبشر والفساد المالي بالإعدام. أما المحاكم العسكرية في أنحاء العالم فتعاقب الجنود على الفرار من الخدمة والتولي في المعركة والعصيان بالإعدام. أعدم الجيش الروسي ١٥٨،٠٠٠ جندي بسبب الفرار من الخدمة خلال الحرب العالمية الثانية.

عقوبة الإعدام في التشريع الإسلامي تكون في جرائم القتل العمد وزنا المحصن والحرابة المؤدية إلى القتل والردة والبغي. عقوبة القتل العمد القصاص أو الدية، وتعتبر حقاً للمعبود، أي لأولياء الدم (الورثة) الحق في العفو إن شاءوا؛ إما دون مقابل أو الدية أو مقابلها. أما عقوبة الإعدام في جرائم الحدود، ويعتبرها الفقهاء حقاً للمعبود (مثل الزنا والحرابة)، فليس للطرف المتضرر أو ولي الدم الحق في العفو.

القصاص بالإعدام على جرائم القتل العمد يُفهم من قوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً، فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً) (الإسراء:٣٣)، وقوله (يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عُفيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان). (البقرة: ١٧٨)؛ وقوله (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون). (البقرة ١٧٩)، وقوله (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). (المائدة: ٤٥)؛ كما يستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من اعتبط مؤمنا بقتل فهو قود به إلا إن رضي ولي المقتول)، وبقوله (من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين: إن أحبوا فالقود . أي القصاص. وإن أحبوا فالعقل أي الدية)، وبقوله (لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس).

ولا تقع عقوبة القصاص في الشريعة الإسلامية إلاّ إذا كان القاتل عاقلا (فلا عقوبة على المجنون)، وبالغا (فلا عقوبة على الصغير)، وأن يكون قاصداً القتل (فلا عقوبة على القاتل خطأ)، وأن يكون مختارا (فلا عقوبة على المكره).

الإعدام رمياً بالرصاص هو أكثر وسائل الإعدام شيوعاً في العالم، حيث تستخدمه أكثر من سبعين دولة. معظم تلك البلدان تستخدم فريقاً من الرماة في كل مرة. في الاتحاد السوفييتي السابق كانت تطلق رصاصة واحدة فقط على مؤخر الرأس، سواء في الإعدامات المدنيّة أو العسكرية. هذه الطريقة ما زالت تستخدم في الصين حيث تطلق الرصاصة على الرأس أو العنق، وفي الماضي كانت السلطة تفرض على أهل المعدوم سداد ثمن الرصاصة المستخدمة!

أما في تايوان، فيحقن المحكوم عليه بحقنة مخدرة ليغيب عن الوعي قبل أن تُسدد إلى رأسه الرصاصة القاتلة.

في الدول التي تستخدم فريقاً من الرماة يُربط المحكوم عليه إلى عمود ويوضع قناع على عينيه أو على رأسه بالكامل، ويُطلق كل من أعضاء الفريق رصاصة واحدة على قلبه. البنادق التي يحملونها تكون محشوة سلفاً؛ ولا تحتوي كلها على ذخيرة حية، بل إن واحدة منها أو أكثر تكون محشوة بذخيرة تصدر صوتاً دون انبعاث رصاصة منها، وتوزع عشوائياً على الرماة. جهل الرامي بنوع الرصاصة التي أطلقها؛ وهو موقن باحتواء بعض البنادق على ذخيرة غير حية ينقص من شعوره بالذنب. لذلك يأمل كل من الرماة أنه لم يُطلق الرصاصة القاتلة. القناع الذي يوضع على الرأس ليس لحماية مشاعر المحكوم عليه بقدر ما هو حماية لمشاعر فريق الإعدام والمراقبين خشية النظر المباشر إلى عيني المعدوم، ولتجنيبهم مشاهدة التعبير المرتسم على وجهه، وما قد يعتريهم جراء ذلك من أسى وحزن أو عقد نفسية أو كوابيس تروعهم ..

تحت المجهر

■ د. معتز محي عبد الحميد

محاربة الجريمة.. وإدارة الرقابة الجنائية

الجريمة سلوك إنساني، تتطور كلما تطور الإنسان، فهي بالتالي لا تقف عند حد معين من التطور، ولهذا صار أمراً بديهياً أن يسعى الإنسان إلى البحث والتنقيب لمكافحتها وكبح جماح المجرمين، ولكن من المؤكد أن المنع المطلق للجريمة يعتبر مستحيلاً.. إلا أنه يمكن الحدّ منها، وكلما بُذل المجهود وسُخّرت الإمكانات؛ أدى ذلك إلى التقليل من النشاط الإجرامي.

وهكذا ظلت الجريمة في ديمومة لا يحدها زمان ولا مكان، وكان ذلك مدعاة للمجتمع أن يشن عليها حرباً شعواء قبل وأثناء وبعد حدوثها، ولما كان الأمر كذلك تطور البحث لإيجاد الوسائل الناجعة لمكافحة الجريمة، ويجب أن تكون تلك الوسائل فعّالة.

من هنا كان لا بد من إنشاء إدارة تعنى بمتابعة ورصد تطور الجريمة، بل وضع المجرمين تحت بؤرة الرقابة على مدار الساعة والربط الدقيق بالمتغيرات التي تحدث من وقت لآخر – لذلك أنشأت الدول المتحضرة (إدارة الرقابة الجنائية) التي تعمل في انسيابية تامة وترابط وتعاون مع بقية اجهزة الشرطة في رصد ومراقبة المجرمين والخارجين على القانون وإلى أبعد الحدود.

فقد كان لزاماً والتزاماً أن تتكاتف أسرة الإدارة لتحقيق غاية واحدة هي شن حرب ضارية على الجريمة، والإدارة ليست سيفاً مسلطاً على الرقاب بل هي أنبل وأعظم هدف، لأنها تعتبر جزءاً لا يتجزأ من المنظومة الأمنية المنوط بها الحفاظ على الأرواح والممتلكات والأعراض، وهي الذراع النافذة للقوة في بسط الأمن والأمان، من خلال عمل منهجي وعلمي وظّفت له أفضل الكفاءات خبرة في بلورة وفك شفرات القضايا الشائكة، التي تجد كل الاهتمام والتحليل الدقيق والدراسة المتأنية والغوص في الأساليب الاجرامية، لاستجلاء الطلاسم بصورة تندمج فيها المثابرة مع الإبداع، في عمل متناغم يبهر الناظرين إلى هذا الإنجاز الحضاري، الذي يجمع بين تقنية العصر والتجربة المصقولة، لمجاراة كل ما يحدث من تقدم، والذي يتطلب التفاعل البنّاء للوصول إلى ما ينفع الناس.

ولعل ما يظهر للعيان ويتجلى في مشهد بديع يحتوي على تركيب الصورة للوصول إلى الحقيقة، حيث يقوم فريق بالبحث اعتماداً على تسخير التكنولوجيا والخبرة التي صقلتها سنوات من العمل الدؤوب دون كلل أو ملل، وثمة فريق آخر يقوم عناصره بدراسة وتحليل البيانات المتاحة لاكتشاف مكامن الخطر، وذلك حتى يتسنى لمن يعمل ميدانيا المتابعة والمراقبة وتنفيذ الجوانب العملية من التوجيهات، وقد يصل هؤلاء إلى بداية الطريق وهم مطالبون بأن يسيروا فيه حتى النهاية، لتحقيق الغاية المنشودة.

كما أن التواصل مع ضحايا الجريمة يقدم أفضل الخدمات لأصحاب الحاجات تحقيقاً لشعار «الشرطة في خدمة الشعب» وأخيرا، فإن كل الجهود التي تبذلها الإدارة والأساليب العلمية التي تحرص على تطبيقها كانت وستظل بمثابة الدافع لكل المطلعين والباحثين على تجربة الدول المتقدمة بالإنجازات التي تحققت، بل أكثر من ذلك، وقد أبدى الكثيرون ونحن منهم رغبتهم في نقل التجربة كاملة الى الشرطة العراقية لتطبيقها والاستفادة من اهداف هذه الادارة .

ومما لا شك فيه، أن للجريمة مقومات أربع هي: المجرم والضحية والزمان والمكان. لذلك دأبت إدارة الرقابة في سعيها الحثيث للتوصل لأفضل الممارسات التي تحول دون وقوعها، وذلك بالاستفادة التامة من كل تلك العناصر واتخاذ التدابير الممكنة من توعية وتحذير وتحليل لما يتوفر من معلومات بالإضافة إلى التواصل مع الضحية، ليتسنى اقتفاء أثر الجريمة والحيلولة دون وقوعها، والوصول إلى الحقيقة، وهذه لا تُدرك إلا بشق الأنفس ..

قضية الأسبوع

سكنت المقبرة.. ولم تنجُ من الاغتصاب!

□بغداد/المدى

لم يراع حرمة شهر رجب ولم يراع حرمة المقابر . ولم يراع أن ضحيته طفلة بريئة لم تتجاوز الخامسة من عمرها بعد! لم يراع كل هذا وارتكب جريمة أخلاقية يندى لها الجبين عندما هتك عرض طفلة صغيرة، وكانت شواهد القبور شاهدة عليه .. اعتادت الصغيرة (أ) أن تلهو أمام دارها الذي تقيم به مع أسرتها بالقرب من مقبرة (محمد السكران).. هدوء المكان وروحانيته منحاها قدراً كبيرا من الهدوء النفسي لم تشعر يوماً بالرهبة التي يشعر بها الكثيرون تجاه المقابر والروايات المفزعة التي يرددها بعض الناس عما يحدث في منطقة المقابر وأشباح الموتى التي تتجول ليلاً.. واستسلمت (أ) وأسرتها المهجرة للأمر الواقع وقدرها الذي اختار أن تكون منطقة المقابر موطناً لهم يعيشون فيه وان تكون مدينة الموتى عنوانهم بعد ان لفظتهم مدينة الاحياء. سنوات وسنوات عاشتها الاسرة البسيطة دون ان تنشأ أي مشكلة بينهم وبين جيرانهم .. وكيف تحدث المشكلة وجيرانهم من الاموات الذين فارقوا الحياة ولم يعد بوسعهم ان يضروا او ينفعوا، وادرك افراد الاسرة بعد سنوات من الضياع والخوف من عمليات التهجير ان السلام والامان بين الاموات افضل ألف مرة من الحياة بين الاحياء . لن تجد من يحاسبك على اسمك واسم آبائك وأجدادك من دون سبب ! وغيرها وغيرها من التفاهات والأمور التي أججت العداوات بين الأسر المختلفة. كانت الصغيرة (أ) تلهو بكل براءة دون أن تدرك أن هناك من يراقبها وينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليها. العيون التي كانت تراقبها كانت من احد الشاذين الذي اشتهر بسمعته السيئة ومشاكله المتكررة مع جميع الجيران في حي الحواسم القريب من المقبرة بداية من زملائه الذين يعملون في جمع الحاجيات من المزابل الكثيرة المنتشرة في المنطقة مروراً بالذين يعملون في بناء القبور نهاية بالمترددين على منطقة المقابر سواء كانوا من أهل المتوفين أو المشيعين على حد سواء.

باختصار لم يسلم من أذاه احد.. حتى جاء الدور على الصغيرة البريئة التي كانت تلهو ببراءة قبل أن يتجه نحوها (ح) راسماً على وجهه ابتسامة عريضة.. ابتسامة النمر قبل انقضاضه على فريسته . وتحدث بلطف شديد مع الطفلة وسألها عن والدها فأكدت له انه في عمله فعرض عليها شراء بعض قطع الحلوى من محل مجاور للمقبرة .. وسارت معه ببراءة دون أن تدري بعقلها الصغير والبريء بحقيقة نواياه الشيطانية . وبعد أن وصلا الى إحدى المناطق المتطرفة بين القبور كشف عن وجهه القبيح ونزع ملابسه وألقى بالطفلة الصغيرة أرضاً، وبدأ يلامس أجزاءً حساسة من جسدها وهتك عرضها وبراءتها بلا ضمير ولم يعبأ بدموع الطفلة الصغيرة التي لم تستوعب ما يحدث ولم يراع حرمة شهر رجب . ولم يراع حرمة المقابر التي تدعو للعبرة والموعظة . ولم يراع صغر سن الطفلة التي تعد اصغر من أولاده ... ولم يتركها إلا بعد أن اطفأ نار شهوته ... وأسرع يرتدي دشداشته ويفر هارباً تاركاً ضحيته المسكينة تلملم شتات نفسها وتعود مكسورة لبيت أسرتها ... تلقى مركز شرطة الخان إخباراً بذلك من والد الطفلة الذي ذكر في أقواله بأن (ح) تحرش جنسياً بابنته التي لم تتجاوز الخامسة من عمرها ... وعلى الفور اصدر قاضي التحقيق امراً بالقبض عليه وبعد عدة ساعات القت مفارز الشرطة القبض عليه وأنقذته بأعجوبة من سكان المنطقة التي حاولت الفتك به وقتله ... وامام المحقق في مركز شرطة خان بني سعد اعترف المتهم بفعلته الشنيعة بصورة تفصيلية وأقر بأنه استدرج ولامس اجزاء حساسة من جسمها نافياً اقدامه على اغتصابها ... وعلى ضوء ذلك ارسلت الطفلة الى الطب العدلي للتأكد من واقعة الاعتداء .. ولا تزال القضية طي التحقيق ..

لكل جريمة حكاية

الملا يقرأ الممحي!

القسم الاخير

□ بغداد /المدى

شعر الملا بان خطته قد نجحت ... اتكأ على حائط الصريفة وقال ... سأدخل معها بعد العشاء إلى صريفتها وأحصنها ببعض الآيات والأحاديث النبوية حتى لا يصيبها فزع او أذى ... وسأله الزوج ... وماذا أقول لزوجتي ؟ قل لها أن الملا سيعمل لها جلسة يقرأ على رأسها بعض الآيات القرآنية ثم يكتب على جسدها بعض التعاويذ حتى لا يصيبها أذى وكل ذلك من اجل الحمل والإنجاب ... وقفز الزوج كأنه وجد ضالته في رد الملا الحكيم وذهب إلى صريفته ليبدأ رحلة الإقناع بعد أن قرر ان يسلم زوجته للملا مقابل الكنز! وبعد عشر دقائق خرجت الزوجة تجرجر أقدامها وكأنها تساق إلى الموت وامسك الزوج بيدها ودخل بها إلى صريفة الحفر وأجلسها على كوم من الطين والتراب بعد أن وضع لها حصيرة لتجلس عليها وخرج إلى الملا ليزف له البشرى بنجاح صفقته وإقناع زوجته ويطلب منه الدخول فيبدي الملا ضجره وعدم اهتمامه ثم يقوم ويذهب إلى الصريفة ويغلق الباب من خلفه ثم يعود فيخرج ويهمس في أذانهم، مؤكدا ألا يقتحم احد خلوته مهما حدث حتى لو سمعوا صراخا أو غير ذلك وإلا ماتت الزوجة المسكينة ويحترق من يدخل الصريفة حتى أنا معه ... وسوف نذهب محروقين إلى الآخرة!.. واستجاب الجميع لأوامر الملا العجوز والذي ظل يحذرهم حتى أغلق باب الصريفة وبدأ حيلته الكبرى ... بدأ الملا المسن حيلته مع المرأة الشابة متجاهلا نظراتها مدعيا انشغاله بتعاويذه وإشعال بخوره حتى اطمأنت ثم راح يحدثها عن علاقتها بزوجها وما يحدث بينهما وطلب منها أن تحدثه بدون خجل حتى يستطيع علاجها وتحبل ... وطال الحديث وبدأت الفتاة تشعر بأمان أكثر وراحة في الحديث إلى طبيبها الملا ... وطلب منها ان تنام على ظهرها ثم عاد ليقرأ عليها ادعيته وتراتيله من جديد دون أن تمتد إليها يده ... وحينما شعر باستكانتها ... اخرج صرة من القماش من جيبه واخرج منها عشبا اخضر ووضعه على النار وطلب منها أن تضع وجهها فوق موقد النار في مواجهة الدخان المتصاعد ... ففعلت ذلك عدة مرات حتى شعرت بارتخاء تام في عضلاتها وفتور في جسدها وتيبسا في عضلاتها ودارت بها الصريفة وتدحرج رأسها على الأرض وتعرى جسدها ... وكلما حاولت أن تستر نفسها لم تطاوعها يداها المرتخية ... وحمل الملا موقد الفحم وقربه من وجهها وهو يضيف كميات من العشب حتى امتلأ المكان بالدخان الأزرق وتحولت المرأة الشابة إلى جثة لا تقوى على الحركة ... فقام بتجريدها من ملابسها وهي تحاول أن تمنعه ولكن لم يطاوعها سوى لسانها المتثاقل الذي لم يقو إلا على بعض الاستغاثات المخنوقة التي لم تتجاوز باب الصريفة وعبث بجسدها لدقائق ثم خلع ملابسه والتهمها بلا رحمة وكلما بدأت تفيق يشعل دخانه فيعيدها إلى سباتها حتى قضى ليلته التي حلم بها منذ أن وقعت عيناه عليها وهي تحمل صينية الغذاء ... وظل الزوج وإخوته ينتظرون أمام الباب ... ينتظرون الفرج ويدعون للملا بالنجاح في صفقته مع الجني ... حتى خرج قبل بزوغ الشمس وترك المرأة ملقاة على الأرض غائبة عن الوعي بعد ان أعاد سترها بملابسها ... ودخل الزوج ليعرف مصير زوجته وقال له الملا ... سوف تفيق زوجتك بعد فترة ! وكأنه طبيب يخرج من صالة العمليات ... ثم أضاف ... قد تشعر الزوجة ببعض الصداع وربما تصاب ببعض التهيئات او تتوهم أشياء لا وجود لها ثم بعد ذلك تفيق تماما ... وسأله احد الإخوة عن الكنز فقال له ... بعد ثلاثة أيام يكتمل (البدر) وعند تمامه سوف تختفي المياه من الحفرة ثم يظهر الكنز ! وطلب منهم أن يسافر الى الناحية القريبة ليأتي ببعض البخور الذي من دونه لا يمكن فتح باب الكنز ... ولكن الأب رفض ان يترك الملا قبل أن يتناول معه طعام الفطور وأمام إصرار الاب وخوفا من الشكوك وافق الملا وتناولا الطعام معا وودعهم على أن يأتي في المساء ... وقبل أذان الظهر بحث الابن الكبير عن زوجته التي تركها نائمة في الصريفة فلم يجدها وظن أنها ذهبت لتبشر أمها في القرية القريبة بانتهاء أزمتها وقرب تحقيق حلمها بالإنجاب ! وبعد ذلك بدقائق وعند مغادرة الملا فوجئ صاحب الصريفة وأولاده بحضور والد الزوجة وإخوتها ومعهم بنادقهم وعصيهم مهددين الأب وأولاده بالقتل والفصل العشائري لتعرض ابنتهم للاغتصاب من قبل الرجل الغريب وبموافقة زوجها ووالده، لقاء الحصول على الكنز الموعود الذي أصبح وهما وحسرة، عند ذلك انتظروا وبحثوا عنه ولكن لم يعثروا على الملا المزيف لا في الناحية ولا في القضاء ... تبخر عن الدنيا وكأن الارض بلعته ولكن الفضيحة اصبحت تلوك بها الالسن سنين عديدة!